مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ القَارِعَةِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة القارعة

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة القارعة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ
هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾

افتتح الله تعالى سورة القارعة باسم من أسماء يوم القيامة. فقال عَزَّ وجل ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أي: أن القارعة لشيء عظيم، لأنها تقرع الخلائق بأهوالها، فتفزع القلوب من شدة أحوالها. قال القرطبي رحمه الله تعالى: أي أنها: القيامة والساعة. كذا قال عامة أهل التفسير، وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها[1] وقد كررها الله سبحانه وتعالى ثلاث مرات متتاليات، فأعطى سياقها التعظيم والتهويل والترويع والتخويف للمشركين وعموم الكافرين من يوم القيامة. فبدأ ذكرها أولاً مجرداً من أن يلحق بها وصف ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ التي تُقْرَع فيها القلوب بقوة الفزع والخوف من أهوالها، لتنكشف في ذلك اليوم الأعمال، ويحصل الجزاء والثواب بناء على الأعمال، ثم المآل. وهي من أسماء يوم القيامة.

ثم أكدها سبحانه وتعالى باستفهام لها، وذلك للمزيد من التهويل والتعظيم، فقال جَلَّ جلاله ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ماهي؟ ما صفتها؟ ما الأحداث التي تقع فيها؟ ما أهوالها وأحوالها؟ وما حال الناس فيها؟ استفهام يشد الذهن نحو هولها وعظمة شأنها، بما يشد الْمُخَاطَب إلى المتابعة، لإدراك ومعرفة القارعة.

وقد ورد سياق جملة ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ بناء استفهامياً بعد أن وردت مطلقة ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ لتعطي بذلك دلالة التعظيم. فابتدأت بحرف ﴿مَا﴾ وهو استفهام، مستعمل في التهويل والتعظيم، كأنه قيل: أتدري ما القارعة؟ ثم كررها سبحانه وتعالى للمرة الثالثة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ سؤال تهويل وتعظيم.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١٢/٢٠)

هل تعلم ما هي القارعة؟ سؤال لكل أحد. أي شيء أعلمك ما هي القارعة؟ لأنك لم تعاينها، ولم تر أهوالها. بما يفيد أن انتفاء مشاهدتك ومعايشتك لأهوالها، ينفي عنك علمك بحقيقة أحداثها العظيمة؛ لأنك لم تعاين وتشاهد أهوالها. وبما يفيد التفظيع لها ولأهوالها عندما يراها الإنسان، ولإفادة التحذير أيضاً من ذلك اليوم، وما يجب له من لزوم الطاعة والانقياد لله تعالى بما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عَزَّ وجل. وبما يفيد: أننا قد أخبرناك بها بعد جهلك بأهوالها وحقائقها أيها الْمُخَاطَب. لتعطي دلالة أننا قد أقمنا الحجة بالإنذار منها.

ثم يخبر الله تعالى عن حالها وما فيها من أهوال، فقال عَزَّ وجل ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ حينما يكون حال الناس كحال الفراش حول النور، وحول ضوء اشتعال النار، لا يقر له قرار. فإن من شدة أهوال وفزع الناس يوم القيامة مشابه للفراش عندما يحوم فوق النار، وحول الأنوار، وحول السراج، بهيئته في الانتشار والتفرق، فلا يقر له قرار. فإن الناس من قوة هول يوم القيامة أشبه ما يكون حالهم بحركة ذلك الفراش المبثوث. مما يبين شدته وهوله، وفزعهم من ذلك الهول العظيم.

وأن من عظيم أهوالها حركة الجبال المهولة المفزعة. قال الله عَزَّ وجل عنها ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ فإنه في يوم القيامة تصبح الجبال الراسية كالصوف المنفوش، الملون بألوان مختلفة. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: والعهن: هي الألوان من الصوف[١] فتصبح الجبال في خفة حركتها، وتفكك مكوناتها كحركة الصوف المنفوش الذي تفكك ترابطه عن بعضه البعض بعد نفشه وتفكيكه. كما قال تعالى في سورة المعارج ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ أي: كالصوف، فإن الجبال في ضعفها ولينها، وخفتها وسيرها كالصوف من هشاشتها. وأما هول يوم القيام بالنسبة للإنسان، فهو ذهول عظيم من شدة ما يرون.

ثم يخبر الله تعالى بانقسام الناس يوم القيامة إلى قسمين: من ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه. فقال عَزَّ وجل ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: سيكونون في عيشة تُرضيهم، جزاءً كريماً من ربهم تبارك وتعالى. فقد أجمل الله تعالى حال المؤمنين، الذين عملوا الصالحات، بأنهم هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فكل واحد منهم

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٩٤/٢٤)

﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فإنه سيكون في عيشة تُرضيه جزاءً وثواباً على ما كان منه في الدنيا من طاعة ربه عَزَّ في علاه.

وقد أفادت دلالة ﴿فِي عِيشَةٍ﴾ تنوع النعيم في الجنة. كما أفادت دلالة ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ استكمال رضاه وسعادته بهذه العيشة الهانئة. كما قال تعالى في سورة الحاقة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فإنه في عيشة مُنَعَّمَة إلى درجة أنه قد استكمل رضاه وسعادته بها. وأن هذه العيشة كما في سورة الحاقة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: فإنها جنة من البساتين العالية المنازل والمقام، المتصفة بارتفاع المقام والمنزلة، والسعة، واتساع النظر لما فيها من المحاسن والجمال بمياهها وأنهارها وأشجارها، وتنوع ثمارها. وأن من جليل نعيمها أن ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: ثمار الجنة ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة ممن يتناولها، فلا يحتاج إلى أي وسيلة حتى يقطف منها، بل يتناول ما يشاء من ثمارها بمجرد القطف لها، فإنها في متناول اليد. ومن جليل التكريم والترحيب أيضاً: أنه يُقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ كلوا واشربوا في الجنة ﴿هَنِيئًا﴾ أي: لا كدر ولا مشقة ولا عناء، فهو نفي وإثبات، إثبات لكمال نعيم المأكل والمشرب. ونفي لكل أضداد الهناءة من التكدير والتنغيص. فلا شيء يكدر عليكم سعادتكم.

وأما عن القسم الثاني: الذي خفت موازينه فقال الله عَزَّ وجل عنه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وأما من كانت سيئاته هي الراجحة في الميزان، لأنه لم تكن لها حسنات، باعتبار كفره ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فإقامته هاوية في جهنم. وسماها الله تعالى ﴿فَأُمُّهُ﴾ لأنها المستقر الذي يستقر به، ومأواه الذي يأوي إليه كما يأوي إلى أمه. قال أهل التفسير في دلالة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: أن أم رأسه هاوية، أنه يهوي في النار على رأسه. وقيل: فمسكنه النار. وقيل لمسكنه: أُمُّهُ لأن أصل السكون للأمهات[١] وكلاهما متحققان فيه، فاستوعب البيان الحالتين بسياق واحد، وهذا من براعة القرآن وإعجازه البلاغي في بيانه. وقد ازداد البيان لها توضيحاً بأنها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ بما يفيد تعظيم هولها، أي: يسقط في عمق سحيق، لبعد نهايتها.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٩٩/٨)

ثم يكرر سبحانه وتعالى التهويل لها بالاستفهام الذي يفيد التعظيم لعذابها، فقال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ سؤال تهويل وتعظيم. هل تعلم حقيقة معنى ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ سؤال لكل أحد. أي شيء أعلمك ما هي الهاوية؟ فإنك لم تعاينها، ولم تر شدة عذابها. بما يفيد أن انتفاء مشاهدتك ومعايشتك لها، ينفي عنك علمك بحقيقة عذابها العظيم؛ لأنك لم تعاين وتشاهد شدة عذابها. بما يفيد التفظيع لها ولقوة عذابها عندما تهوي فيها أيها الكافر، ولإفادة التحذير أيضاً من ذلك العذاب، وما يجب له من لزوم الطاعة والانقياد لله تعالى بما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عَزَّ وجل. وبما يفيد: أننا قد أخبرناك بها بعد جهلك بأهوالها وحقائقها، أيها الْمُخَاطَب. لتعطي دلالة أننا قد أقمنا الحجة بالإنذار منها.

ثم بعد التشويق لمعرفة حقيقتها يقول عَزَّ وجل ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ إنها نار شديدة الحرارة. كما قال صلى الله عليه وسلم في وصفها (نارُكُم هذه التي يُوقِدُ ابن آدم جُزء من سبعين جزءاً)[1] مما يفيد شدة وقوة التحذير من الله العزيز الحكيم. وبما يبين رحمة الله تعالى بالناس، إذ يوضح لهم حقائق الآخرة وكأنهم يرونها. لِيُحَذِّرهم من الكفر، ويزهدهم فيه، ويرغبهم في دينه الإسلام الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عيه وسلم، حتى يفوزوا بالجنة ونعيم عيشها، وسعادتها. اللهم نسألك الفوز بالجنة من غير حساب ولا عذاب، والمسلمين أجمعين يا رب العالمين.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة القارعة. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) مسلم، صحيح مسلم، برقم (٢٨٤٣)